التسامح عند الإمام علي (عليه السلام)

Imam Ali (PBUH) and Tolerance

الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف

الحوزة العلمية – القطيف

Dr.` Abdullah Ahmed Al-Yousif

Scientific Hawza, Al-Qatif

ملخص البحث

يدرس هذا البحث الموسوم بـ(التسامح عند الإمام علي (عليه السلام) قراءة تحليلية) لنهج التسامح عند أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنظر إلى أقواله وكلماته وحِكَمه النفيسة، وكذلك بدراسة سيرته العملية التي ضرب فيها أروع الأمثلة على التسامح؛ وخصوصاً في تعامله مع خصومه ومعارضيه أيام حكمه، فقد كان يتعامل معهم بمنتهى الرحمة والعفو والصفح والرأفة من موقع القدرة والقوة، وأعطاهم حقوقهم كاملة، وهذا من أبرز تجليات التسامح.

وقد بدأنا هذا البحث في مبحثه الأول بتحرير معنى التسامح لغةً واصطلاحاً ومفهوماً، ثم ذكرنا في المبحث الثاني نماذج من تسامحه الديني والاجتماعي والفكري والسياسي مع ذكر شواهد وأمثلة من سيرته العملية التي تدل على ذلك.

وفي المبحث الثالث، تطرقنا إلى الحاجة الماسة في واقعنا المعاصر إلى روح التسامح في المجتمعات الإنسانية عامة، والمجتمعات المسلمة خاصة، وضرورة الاقتداء والتأسي بسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك؛ من أجل ترسيخ ثقافة التسامح وتعزيز مفهوم التعايش بين مختلف المكونات الدينية والاجتماعية المتغايرة؛ لبناء السلم الأهلي والعيش بكرامة وسعادة وأمن واستقرار ورخاء وازدهار.

وختمنا هذا البحث باستخلاص النتائج المستوحاة من مكوناته ومحتوياته.

Abstract

This research entitled “Imam Ali (PBUH) and Tolerance” reviews an analytical reading to Imam Ali’s methods and approach of tolerance through his invaluable sayings, words and wisdoms, as well as his exemplary demeanor in tolerance specifically with his enemies and opposes during his ruling era. Imam Ali treated them with utmost mercy, forgiveness, absolution and clemency as an exhibition of capability and power, and he gave them their full rights. Such demeanor is the greatest reflection of tolerance.

The research begins its first theme by introducing the meaning of tolerance linguistically, terminologically, and conceptually. The second theme displays examples of Imam Ali’s religious, social, intellectual, and political tolerance supported with testimonies and cases from his demeanor.

The third theme addresses the intense need in our contemporary times to tolerance in humane societies in general and Muslim societies in particular, in addition to the necessity of following Imam Ali’s example in order to profoundly instill the culture of tolerance and enhance the concept of coexistence among the different and divergent religious and social components to create civil peace and live with integrity, happiness, security, stability, and prosperity.

The research is concluded with results extracted from its themes and content.

المُقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الأخيار وبعد:

التسامح فضيلة من الفضائل الأخلاقية والإنسانية النبيلة، وقيمة مهمة من القيم الفضلى التي حثّ عليها الإسلام، ودعا إلى التحلي بها، وأمر أتباعه بالتخلق بالسماحة والعفو واللين في التعامل والسلوك، وأوصى بالإحسان والبر إلى جميع فئات ومكونات المجتمع حتى يعيش الناس في تعايش ومحبة وانسجام.

والمجتمعات الإنسانية في الواقع المعاصر بحاجة ماسة وشديدة إلى روح التسامح الفعّال والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الدينية والمذهبية والفكرية والثقافية المكونة لكيان المجتمع وإطاره العام.

ونتيجة للتطور العلمي والتقني والتكنولوجي الهائل في عصرنا الراهن، وخصوصًا في مجال تقنية الاتصالات وشبكات التواصل الاجتماعي، مما جعل من السهل أن تتمازج فيه الثقافات، وتتفاعل بينه الحضارات، وقد ارتفعت فيه الحواجز الزمانية والمكانية بين الشعوب والأمم المختلفة في أرجاء المعمورة؛ مما يجعل التسامح ليس فضيلة وقيمة فحسب؛ وإنما ضرورة ملحة، وحاجة أساسية لتوليد التعاون والتكامل والتعايش بين مختلف الشعوب والأمم، والتفاعل بين الثقافات والحضارات.

وقد بات نشر ثقافة التسامح ووجوب ترسيخه في المجتمع الإسلامي من الأمور المهمة للغاية لبناء السلم الأهلي والتعايش بين مختلف المكونات المجتمعية، خصوصًا مع انتشار ظاهرة الإرهاب والتشدد

والتطرف والإقصاء والتهميش المنتشرة في العديد من البلدان الإسلامية.

وفي سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتجربته العملية في أثناء عهده العديد من الشواهد والأمثلة التي تدل على تسامحه وعفوه وصفحه ورأفته ورحمته حتى بأعدائه وخصومه؛ بل أعطاهم حقوقهم كافة رغم معارضتهم له، وهذا ما سنشير إليه في هذا البحث بشيء من البيان والتفصيل.

وتعد دراسة نهج التسامح عند الإمام علي (عليه السلام) أكثر من ضروري، لما ترمز إليه شخصيته من مكانة ومقام رفيع، وتراث وفكر ثري، ومنهج ونهج متميز.

إن شخصية الإمام علي (عليه السلام) شخصية عظيمة ومتميزة وكاملة، وله شأن عظيم، فهو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخليفته، وأقرب الناس إليه، وأعزهم عليه.

وقد كان الإمام علي (عليه السلام) شخصية فريدة واستثنائية في تاريخ الإسلام بشهادة كل المنصفين من المؤرخين والكتّاب والمفكرين.

ومن هنا، تأتي أهمية هذا البحث في دراسة التسامح في سيرة الإمام علي (عليه السلام) وحياته المفعمة بالتجارب والدروس والعبر.

ويتناول هذا البحث مباحث رئيسة عدة، ويتفرع من كل مبحث مطالب عدة، وهي:

المبحث الأول- في معنى التسامح.

ويتفرع منه المطالب التالية:

المطلب الأول- التسامح لغة.

المطلب الثاني- التسامح اصطلاحًا.

المطلب الثالث- مفهوم التسامح.

المبحث الثاني- نماذج من التسامح عند الإمام علي (عليه السلام). ويتفرع منه المطالب التالية:

المطلب الأول- التسامح الديني.

المطلب الثاني- التسامح الاجتماعي.

المطلب الثالث- التسامح الفكري.

المطلب الرابع- التسامح السياسي.

المبحث الثالث- الحاجة إلى التسامح.

وتضمنت خاتمة البحث استخلاص النتائج.

المبحث الأول: في معنى التسامح

المطلب الأول: التسامح لغة

قبل الولوج في التسامح عند أمير المؤمنين (عليه السلام) من المهم تحرير معنى ومفهوم التسامح، ونبدأ بالرجوع أولًا إلى مفردات اللغة العربية لنستطيع أن نُحَدّدَ بدقة معنى التسامح، وذلك لِنعرفَ هل كان لها جذر في مفردات اللغة العربية ومشتقاتها أو لا.

ومن المفيد أن نستعرض ما قاله علماء اللغة لتحرير مفهوم التسامح لغةً بالرجوع إلى جذر مفردة التسامح، وإليكم ما ورد في كتب اللغة ومعجماتها:

قال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في الصحاح: «سمح» السَماحُ والسَماحَةُ: الجود. وسَمَحَ به: أي جاء به. وسَمَحَ لي: أعطاني. وما كان سَمْحًا ولقد سَمُح بالضم، فهو سَمْحٌ، وقومٌ سُمَحاءُ، كأنه جمع سَميح. ومَساميحُ: كأنَّه جمع مِسْماحٍ. وامرأة سَمْحَةٌ ونِسْوَةٌ سِماحٌ لا غير. والمُساماحة: المُساهلة. وتسامحوا: تساهلوا. وقولهم: أَسْمَحَتْ قَرُونَتُهُ، أي: ذَلَّتْ نفسُه وتابَعَتْ. وتَسْميحُ الرُمْح: تَثْقيفُه. والتَسْميحُ: السير السَهْلُ[1].

وجاء في مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ) في معنى «سمح»: السَّمَاحُ والسَّمَاحَةُ الجود، سَمَح به

يسمح بالفتح فيهما سَمَاحًا وسَمَاحةً أي جاد، وسَمَحَ له أي أعطاه، وسَمُحَ من باب ظرف صار سَمْحًا بسكون الميم، وقوم سُمَحاءُ بوزن فقهاء، وامرأة سَمْحةٌ بسكون الميم، ونسوة سِمَاحٌ بالكسر، والمُسَامَحَةُ المساهلة، وتَسامَحوا تساهلوا[٢].

وأما الشيخ الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) في معجم البحرين: «سمح»: بفتح فسكون أي السهلة، والسماح بالفتح الجود، والسماحة مثله: وسمح به يسمح بفتحتين سموحًا وسماحًا وسماحة: أي جاد.

وفي الحديث: «خِيَارُكُمْ سُمَحَاؤُكُمْ»[٣]. وسمح لي: أعطاني، وقوم سمحاء جمع سميح ومساميح كأنه جمع مسماح- قاله الجوهري-. ومنه قول الشاعر:

مساميح الفعال ذوو أناة.

والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا. وفي خبر عطا اسمح يُسمح لك؛ أي سهل يسهل عليك. وفي الخبر: السماح رباح، أي المساهلة في الأشياء ربح صاحبها.

وفي الحديث: «السَّمَاحَةُ الْبَذْلُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ»[٤]. وفي آخر: «السَّمَاحَةُ إِجَابَةُ السَّائِلِ وَبَذْلُ النَّائِلِ»[٥]. وفلان سمح الكفين نقي الطرفين. قوله سمح الكفين أي كريم. ونقي الطرفين فرجه ولسانه[٦].

ومعنى سَمَحَ في المعجم الوسيط: سَمْحًا، وسَمَاحًا، وسَمَاحَة: لانَ وسهُلَ. ويقال: سمحَ العودُ: استوى وتجرَّد من العُقَد. وانقادَ بعد استصعابٍ. وفلانٌ: بَذَلَ في العُسْر واليُسْر عن كرَمٍ وسَخاء. ويقال: سَمَح له بحاجة: يسَّرها له. «سَمُحَ» سَمَاحَةً، وسُمُوحةً: صار من أهل السَّماحة. فهو سَمْحٌ، وسَمِيح.

«أسْمَحَ»: سَمَحَ. ويقال: أسْمَحَتْ نفسُهُ: ذلَّتْ وأطاعَتْ وانقادَتْ. «سامَحَهُ» بكذا، وفيه:

وافَقَهُ على مطلوبِه. وبذنبِه: عفَا عنهُ. ويقال في الدُّعاء: سامحك الله.

«سَمَّحَ»: سَمَحَ. وسار سيرًا سهلًا. والشيء: جعله ليِّنًا سهلًا. ويقال: سمَّح الرمح وغيره: ليَّنَه وثَقَّفَهُ. وفلانًا: ساهَلَه.

«تَسَامَحَ» في كذا: تساهل. «تسَمَّحَ» فيه: تسامَحَ. وتكلَّف السماحةَ.

«السَّماحُ»: التسامُحُ والتساهُل. ومنه: بيع السَّماح: وهو البيعُ بأقلّ من الثَّمن المناسب.

«السَّماحَةُ»: الجود والكرم. والسُّهُولة. «السَّمْحُ»: يقال: فلانٌ سَمْحٌ: جوادٌ سخيٌّ، وعودٌ سَمْحٌ: مُستوٍ لَيِّنٌ سهلٌ لا عُقَدَ فيه.

«السَّمْحَةُ»: مؤنَّثُ السَّمْح. يقال: شريعةٌ سَمْحَة: فيها يُسْرٌ وسهولةٌ. (ج) سِمَاح. «المِسْماحُ»: الكثيرُ السَّماح. (ج) مَساميح. «المَسْمَحُ»: ما فيه سهولةٌ ويُسرٌ. يقال: عليكَ بالحقِّ فإنَّ فيه مَسْمحًا: متَّسعًا ومندوحة عن الباطل. «المِسْمَحُ»: الكثير السَّماح. (ج) مَسامِح[٧].

نستطيع أن نستنتج مما تقدم من أقوال أهل اللغة الإيحاء الإيجابي لمفردة التسامح، التي تشير إلى اللين والتساهل في التعامل، والجود والكرم والسخاء والعطاء من غير عُقَدٍ أو تعقيد، وأن الباعث على ذلك هو العزة والرفعة والتسامي، ولا يعني التسامح أي نوع من أنواع الضعف والانهزام والذلة.

كما يفهم من أقوال اللغويين أنه لا فرق بين معنى التسامح والتساهل من حيث اللغة، وأن المقصود منهما هو ذلك الخلق الرفيع والخلة المحمودة الممدوح صاحبها.

المطلب الثاني: التسامح اصطلاحًا

يوجد أكثر من تعريف لمعنى التسامح اصطلاحًا، فقد عَرَّفه ابن رشد بأنه: احترام الحق في الاختلاف،

وأن يجهد النفس في طلب الحجج والخصومة، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه. وعرّفه الشريف الجرجاني بأنه استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته المعنوية ويعني: التساهل في العبارة أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة[٨].

من هنا يتضح أن مفهوم التسامح يحمل مفهومًا أخلاقيًّا يدعو إلى العفو والصفح وتقبل الآخر وعدم إلغاء الآخرين رغم اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم مع التمسك بثوابت الدين الأساسية.

وقد عرّفت منظمة حقوق الإنسان في مصر التسامح بأنه: «حق العيش على نحو مختلف سواء بممارسة حق التعبير عن الرأي، أو حق الاعتقاد، أو حق التنظيم، أو حق المشاركة السياسية في تولي المناصب العليا»[٩].

وإن احترام الحريات والأديان الأخرى يدل على تسامح المسلمين وتقبلهم للآخر، ومن هنا يتبين لنا أن مفهوم التسامح يدل على أسمى معاني الحب والعفو والجود وتقبل الآخر من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية التي مرت[١٠].

ويراد بالتسامح اصطلاحًا: موقفٌ إيجابيٌّ متفهمٌ من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدًا عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينيًا وسياسيًا، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته[١١].

ولأن التسامح يدخل في مجالات متعددة، فقد عَرَّف أتباع كل علم وفن التسامح بما يتناسب معهم، ففي المجال الاجتماعي يستعمل التسامح بمعنى السهولة في المخالطة والمعاشرة، وهو لين في الطبع، في مظان تكثر في أمثالها الشدة.

والسهولة واللين تارة تكون بالكلام، وتارة تكون بالسلوك. ومن مصاديق الكلام ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[١٢].

ومن مصاديق السهولة واللين بالسلوك، قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١٤].

وفي المجال الديني يستعمل التسامح بمعنى إبداء السماحة للمخالفين للمسلمين من جهة الدين، وهذا المعنى في نظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، اصطلح عليه العلماء الباحثون عن الأديان من المتأخرين في أواخر القرن الماضي الهجري، أخذًا بالحديث النبوي «بعثت بالحنيفيةِ السمحة»[١٥]، وقد صار هذا اللفظ حقيقة عرفية في هذا المعنى.

وربما عبروا عن معناه سالفًا كما يضيف الشيخ ابن عاشور، بلفظ التساهل، وهو مرادف له في اللغة. ويرى ابن عاشور أن الاصطلاح الذي خص لفظ التسامح بمعنى السماحة الخاصة تجاه المخالفين في الدين كان حقيقيًّا بأن يترك مرادفه في أصل معناه، ولذلك هجروا لفظ التساهل، لأنه يؤذن بقلة تمسك المسلم بدينه، فتعين لفظ التسامح للتعبير عن هذا المعنى، وهو لفظ رشيق الدلالة على المعنى المقصود، ولا ينبغي استبداله بغيره[١٦].

وأشار الفيض الكاشاني إلى أهمية التيسير والاعتدال والوسطية في الدين، ومعنى الحنفية والسمحة

والسهلة- وهو يشرح معنى الحديث النبوي المشهور: «بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ الْبَيْضاء»[١٧]- بقوله: «والحنفية هي المائلة من طرفي التفريط والإفراط إلى الوسط والسهلة تفسير للسمحة وهي عبارة عن التيسير الذي في الأمة المرحومة المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١٨] وبقوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١٩] والبيضاء عبارة عن وضوحها في الحقية»[٢٠].

وهذا يعني أن الحنفية هو اتباع الوسطية الحقة والميلان نحو الدين الحق والالتزام بأحكام الله تعالى بعيدًا عن التساهل في تطبيق الأحكام أو التشدد والتنطع في الدين.

وهذا هو المقصود بأن الدين الإسلامي هو دين السماحة والرحمة واليسر، وأن أحكام الإسلام وقيمه كلها تؤدي إلى هذا المنهج والمسلك الذي فيه الرحمة واليسر، ولا يعني ذلك عدم الالتزام بأحكام الإسلام، أو التقصير في تطبيق التشريعات الإسلامية، أو تجاوزها.

وفي اصطلاحات المعاصرين كما جاء في كتاب: «المعجم الفلسفي»، فإن التسامح يأتي بمعنى أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه، وإن كانت مضادة لآرائك، وأن يحترم المرء آراء غيره، لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة. والتسامح كما يقول غوبلو، لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته، أو الامتناع عن إظهارها، أو الدفاع عنها، أو التعصب لها بل يوجب عليه الامتناع عن نشر آرائه؛ بالقوة والقسر والقدح والخداع.

والذي يفهم من تلك المعاني والاستعمالات، أن التسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق، وتعبير عن موقف فكري من جهة،

وموقف أخلاقي من جهة أخرى. موقف فكري يحدد طريقة التعامل من المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى النظر، وموقف أخلاقي يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى العمل[٢١].

ولأن الناس بطبيعتهم يختلفون في كل شيء، وتتباين وجهات نظرهم في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية؛ فهم بحاجة إلى التسامح كقيمة أخلاقية وإنسانية، وكحل عقلاني لإيجاد الصيغ المناسبة للتعايش فيما بينهم، واحترام بعضهم البعض الآخر، بعيدًا عن روح التعصب والصدام والاحتراب، أو الإقصاء والعنف ضد الرأي الآخر.

المطلب الثالث: مفهوم التسامح

تبلور مفهوم التسامح بوصفه مصطلحًا حديثًا في الغرب نتيجة للخلافات الحادة التي كانت قائمة بين الكنيسة ورجال العلم والفكر، والحروب التي كانت قائمة بين أتباع المذاهب المسيحية مما دعا فلاسفة الغرب ومفكريهم للدعوة إلى التسامح كحل عقلاني لمشكلة الصدام والاختلاف الحاد التي كانت واقعة في داخل السلطة الدينية في الغرب، ثم تطور مفهوم التسامح ليتحول إلى أحد الأسس المهمة في النظرية الليبرالية.

وبعيدًا عن هذا التطور التاريخي لمفهوم التسامح في البيئة الغربية، فإن مقتضيات التسامح ومستلزماته موجودة قبل ذلك في أصول الإسلام وأخلاقه.

ففي الأخلاق الإسلامية نجد كثيرًا من النصوص الدينية التي تشير إلى أخلاقيات التسامح، كمفردات العفو والصفح والصبر والمداراة والمجاملة والسماحة والإحسان

والرأفة والشفقة، وهذه المفردات الأخلاقية والإنسانية تتقارب في مضمونها ودلالاتها مع مصطلح التسامح ومفهومه.

فللتسامح جذوره الراسخة سواء في اللغة العربية، أم في القيم الأخلاقية والإنسانية والتربوية والفكرية للإسلام.

وما نقصده من التسامح هو حق الآخر بالاختلاف والتعايش معه، من دون قطيعة أو جفاء أو صِدَام أو عداوة؛ ولا يعني التسامح التنازل عن المعتقدات أو القناعات الفكرية أو المساومة حولها، وإنما يعني التعايش مع الآخر، والتعامل معه بإنسانية وعدالة وإنصاف وإحسان بغض النظر عن صحة أفكاره وخطئها.

والتسامح بهذا المعنى له إيحاءاته الإيجابية، ودلالاته اللغوية الجميلة، وما يرمز له تراثنا الديني؛ فعندما نتحدث عن التسامح إنما نتحدث عن الحقوق المشروعة للمسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، وحقوق غير المسلمين التي أقَرَّها الإسلام ودعا للالتزام بها في بلاد المسلمين.

والتسامح يعني أيضًا- فيما يعنيه- التعامل الإنساني والأخلاقي الراقي، وبالتأمل في سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الأخلاقية والإنسانية ما يشكل مدرسة متميزة في الأخلاق والآداب الرفيعة، فقد كان (عليه السلام) أنموذجًا مثاليًّا للشخصية الأخلاقية التي تفصح عن معاني التسامح ودلالاته بكل صوره وأشكاله وألوانه، كما كان في تسامحه مع معارضيه ومناوئيه أكبر الدروس العملية في تأصيل نهج التسامح، وهذا ما سنشير إليه في هذا البحث المختصر، وسنثبت من خلال سيرته الأخلاقية والإنسانية

تمسكه بنهج التسامح وروحه حتى في أحلك الظروف وأصعبها فضلًا عن الظروف الطبيعية، حيث كان الصفح والعفو والرحمة والرفق واللين والشفقة هي عنوان سيرته الأخلاقية والإنسانية حتى مع خصومه وأعدائه فضلًا عن عامة الناس.

وما أحوج المجتمع اليوم إلى الاقتداء والتأسي بأمير المؤمنين (عليه السلام)، واستخلاص الدروس والعبر من سيرته العملية من أجل ترسيخ ثقافة التسامح بين المكونات الاجتماعية، وتعزيز مفهوم التعايش بعيدًا عن خطاب الكراهية والإقصاء والعداوة، وإحلال المحبة والأخوة والتقارب والتآلف بدلًا عن ذلك.

المبحث الثاني: نماذج من التسامح عند الإمام علي (عليه السلام)

المطلب الأول: التسامح الديني

المقصود به الإشارة إلى ما يحتوي عليه دين ما من قواعد تسمح بحرية الأديان الأخرى، وما يتحلى به أتباع هذا الدين من قابلية لاستيعاب أتباع العقائد المخالفة.

والتسامح الديني عند المسلمين يعني تفهم ما لدى غير المسلمين من معتقدات وآراء، وضمان كافة حقوقهم المشروعة، والتعامل معهم بسماحة ورفق ولين، والتواصل معهم، والبر بهم والإحسان إليهم.

وللتسامح الديني مستويان إثنان:

الأول: مستوى نظري: ويقصد به القواعد والأسس والمبادئ.

الثاني: مستوى عملي: أي التطبيقات والسلوكيات المنعكسة عن تلك القواعد.

ويرى الباحثون- مسلمين وغير مسلمين- أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحتوي كتابه المنزل (القرآن الكريم) على قواعد مسجلة تنظم تعامل أتباعه مع أتباع الأديان الأخرى[٢٢].

وقد جاء الإسلام بنظرات حول الكون والحياة والإنسان، ويمكننا أن نستخلص من هذه النظرات أن مبدأ الاختلاف بين الناس هو أحد سنن الله في الكون، وهو واقع بمشيئته سبحانه، وقد أثبته القرآن الكريم، ويرتبط مبدأ الاختلاف هذا بمبدأ الحق في الاختيار الذي أقره الإسلام وأثبته القرآن الكريم أيضًا بعد أن فطر الله الإنسان عليه.

وتتجلى إيجابية الإقرار بالاختلاف في دعوة القرآن المسلمين أن يعدلوا مع من يعادونهم ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٣٢]. وكذلك في الدعوة إلى التعامل مع الآخر الديني بمقتضى البر والعدل ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢٤].

وهكذا يُعطي الإسلام التعامل الإيجابي مع عقائد الآخر ومذاهبه المغايرة وأفكاره بعدًا عقديًّا يستند إلى التوجيه والتكليف الإلهيين، وقد لاحظ بعض الباحثين أن القرآن أثبت كل نقد وُجه إلى الإسلام وقت نزول الرسالة، حتى وصفه بعضهم بأنه: «خلّد الفكر المضاد بين دفتيه» وهناك عدد من الآيات نزلت في سياق تبادل الحجج بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشركين في شأن الدين الجديد. وقد فتح هذا التعامل الإيجابي الباب لتبادل النقد والتقويم في سياق عملية الإقناع والتبشير برسالة الإسلام فضلًا عن تثبيت العقيدة في النفوس[٢٥].

وفي ظل الإسلام لا تُلغى الديانات الأخرى، ولا يحظر وجود سائر المبادئ والملل، بل يخاطبهم القرآن الحكيم معترفًا بوجودهم، وتاركًا لهم حرية اختيارهم، يقول الله

تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢٦]؛ وقد نظّم الإسلام تشريعات ووضع قوانين لحماية أتباع الأديان الأخرى والتعامل معهم في إطار الدولة الإسلامية.

وهذا ما حصل في تاريخ الإسلام بالفعل، ففي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) احترم حريات الناس بما فيها حق المعتقد والدين، وفي الوقت الذي كان الإمام (عليه السلام) في أقصى درجات القوة، وحدود بلاده واسعة تمتد من أواسط ما كان يُسمى بالاتحاد السوفياتي سابقًا إلى غرب أفريقيا لم يجبر أو يقهر أحدًا على ترك عقيدته واعتناق الإسلام، بل العكس صحيح؛ فقد ورد في روايات عديدة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) حول حرية الأقليات الدينية: فعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه قال «أَلْزِمُوهُمْ بِمَا أَلْزَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُم»[٢٧].

وتدل (قاعدة الإلزام) على التسامح في الإسلام مما يعني إعطاء الآخر المذهبي، بل والآخر الديني الحق في الالتزام بما يعتقد، ويراه صحيحًا طبقًا لمذهبه أو دينه.

وهذه القاعدة الفقهية التي يعمل بها الفقهاء تدل على إنسانية الإسلام وتأصيل روح التسامح تجاه الآخر المذهبي والديني؛ فهذه القاعدة الفقهية تؤسس للحرية الدينية لأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، بل وأتباع الأديان الأخرى، وتتيح لهم العمل وفق عقائدهم وأحكامهم، وفي هذا إقرار بقبول التعايش مع الآخر المغاير للذات.

وحينما يقبل الإسلام بوجود سائر الأديان والاتجاهات ضمن مجتمعه وفي ظل دولته، فإنه يمنحهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائر أديانهم والقيام بطقوس عباداتهم، وتنفيذ تعاليمها وأحكامها من دون أن يفرض عليهم شعائره وأحكامه

أو يتدخل في شؤون أديانهم.

وقد تعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لنصارى نجران بضمان حريتهم الدينية في عباداتهم وشعائرهم كما جاء في نص معاهدته لهم في كتابه لأبي الحارث بن علقمة أسقف نجران وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: إن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بِيَعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله.. لا يغيّر أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه [على ذلك جوار الله ورسوله أبدًا] ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين»[٢٨].

وكان هذا الكتاب بخط الإمام علي (عليه السلام) كما قال المؤرخ اليعقوبي في تاريخه[٢٩].

إن هذه الرسالة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى نصارى نجران تنص على حرية العقيدة وضمان حقوق (الآخر الديني)، وعدم إكراههم على ترك عقيدتهم؛ إذ إن من حق الإنسان أن يختار العقيدة التي يرغب فيها، من دون أي إكراه أو جبر، ولكنه إذا اختار الإسلام بإرادته لم يجز له أن يرتد عنه، وقد سار الإمام علي (عليه السلام) أيام خلافته على هذا النهج الذي رسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويجب التعامل في ظل الدولة الإسلامية بمنطق الرحمة والعفو والتسامح مع جميع الناس، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، وقد أشار الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) إلى ذلك في كِتابِهِ لمالك الأشتَرِ لَمّا وَلّاهُ مِصرَ بقوله: «وأشعِرْ قَلبَكَ الرَّحمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والمَحَبَّةَ لَهُم، واللُّطفَ بِهِم،

ولا تَكونَنَّ عليهِم سَبُعًا ضارِيًا تَغتَنِمُ أكلَهُم؛ فإنَّهُم صِنفانِ: إمّا أخٌ لَكَ في الدِّينِ، أو نَظيرٌ لَكَ في الخَلقِ، يَفرُطُ مِنهُمُ الزَّلَلُ، وتَعرِضُ لَهُمُ العِلَلُ، ويُؤتى على أيديهِم في العَمدِ والخَطأِ، فأعطِهِم مِن عَفوِكَ وصَفحِكَ مِثلَ الّذي تُحِبُّ وتَرضى أن يُعطِيَكَ اللهُ مِن عَفوِهِ وصَفحِهِ، فإنَّكَ فَوقَهُم، وَوالِي الأمرِ عليكَ فَوقَكَ، واللهُ فَوقَ مَن وَلّاكَ!»[30].

ويوضح الشيخ محمد جواد مغنية هذا النص لأمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: محبة الحاكم لرعيته ضرورة تمامًا كالعدل، وأي حاكم يلزم نفسه بالمحبة والعدل، فإنّه يجعل من رعيته أصدقاء له وأحباء حتى ولو كان على غير دينهم، وبهذا تستقيم له الأمور، ويعم الأمن والهدوء بلا جيوش وجنود، لأن كل واحد من رعية السائس العادل هو قوة له وعدة، وجندي يحافظ ويدافع. وقد أثنى سبحانه على نبيه الكريم بقوله: **﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾**[31]. وأي حاكم لا ينفذ له أمر إلا بالقوة فهو من الخاسرين دنيا وآخرة.

(فإنَّهُم صِنفانِ: إمّا أخٌ لَكَ في الدِّينِ، أو نَظيرٌ لَكَ في الخَلقِ)... على الإنسان أن لا يعتدي ويسيء إلى أخيه الإنسان بشيء، وأن ينصفه من نفسه، ويكون عونًا له على ظالمه سواء أكان على دينه أم على دين الشيطان[32].

فالإسلام قد حفظ حقوق أهل الذمة، وأصحاب الأديان الأخرى، وأمر بالعدل والقسط والإحسان والرحمة مع جميع الرعية وإن اختلفوا في الدين.. هذا على المستوى النظري.

وأما على المستوى التطبيقي: فقد بلغ التسامح الديني في الإسلام أن يسمح للذمي أن يخاصم إمام المسلمين ويطالبه بالبيّنة لدعواه، كما اتفق ذلك في قصة درع أمير المؤمنين

(عليه السلام) ومخاصمته في عصر خلافته مع رجل من اليهود عند شريح القاضي[٣٣].

ونشير إلى واقعة أخرى تؤكد على ضمان أمير المؤمنين (عليه السلام) لحقوق غير المسلمين ممن يعيشون في المجتمع المسلم وتحت ظلال الدولة الإسلامية، حيث تسجل لنا كتب التاريخ هذا الموقف النبيل، إذ روى الشيخ الطوسي في التهذيب بسنده عن محمد بن أبي حمزة: عن رجل بلغ به أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبِرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ، أَنْفِقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ**»[٣٤].

وقد أفتى بعض الفقهاء كالشيخ الحر: بأن ضمان الدولة لا يختص بالمسلم، فالذمي الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية إذا كبر وعجز عن الكسب، كانت نفقته من بيت المال[٣٥]. واستفادوا في استنباط فتاواهم من هذه الحادثة وغيرها.

وهذا يدل على حسن تعامل الإسلام مع الإنسان بصورة عامة حتى مع غير المسلم الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية، ويرعى حقوقهم كاملة، وهو ما يؤكد على التسامح الديني.

المطلب الثاني: التسامح الاجتماعي

نستطيع أن نعرف التسامح الاجتماعي بأنه: القدرة على التعايش مع المكونات الاجتماعية الأخرى، وتقبل الرأي الآخر، وعدم تهميش أي مكون من مكونات المجتمع، وإعطاء كل المكونات والشرائح الاجتماعية الحق في التعبير عن نفسها وآرائها وهويتها وخصوصياتها وثقافتها.

كما يعني أيضًا التعامل الأخلاقي

الراقي مع مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية، والسهولة في المعاشرة والاتصال، ولين المعاملة في القول والفعل والسلوك.

والتسامح الاجتماعي بهذا المعنى من أساسيات بناء المجتمعات بصورة علمية وحضارية بعيدًا عن لغة الإقصاء أو التهميش أو الإلغاء بما يساهم في إبراز الطاقات الكامنة والقدرات الكبيرة التي يتمتع بها مختلف المكونات لأي مجتمع إنساني.

و«التسامح كحقيقة اجتماعية، لا يمكن أن تتجسد من دون تطوير الثقافة المجتمعية التي تحتضن كل معالم هذه القيمة وحقائقها. ومن ثم فإن المسؤولية الاجتماعية الأولى، هي العمل على تطوير ثقافة الحرية والتواصل وحقوق الإنسان، ونبذ العنف والإقصاء والمفاصلة الشعورية بين أبناء المجتمع الواحد. فلكي يبنى التسامح الاجتماعي وتسود علاقات المحبة والألفة وحسن الظن صفوف المجتمع، نحن بحاجة أن نعلي من شأن الثقافة والمعرفة القادرة على استيعاب الجميع بتنوعاتهم واختلافاتهم الاجتماعية والفكرية»[٣٦].

ومما يؤدي إلى نشر ثقافة التسامح والمحبة بين الناس في المجتمع إشاعة ثقافة العفو والصفح، وتجنب حالات التعصب والاحتقان والتشنج المذهبي والديني والسياسي والاجتماعي؛ وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى قيمة العفو وأهميته- بالإضافة إلى العدل- بقوله: «**شَيئانِ لا يُوزَنُ ثَوابُهُما: العَفوُ والعَدلُ**»[٣٧].

إن على الإنسان بوصفه فردًا، وعلى المجتمع كجماعات وتيارات ومكونات مختلفة العمل والسعي لاكتساب فضيلة العفو والصفح، وتجنب روح الانتقام والثأر، حتى نبني مجتمعنا على روح التسامح

والتعايش والسلم والسلام، والابتعاد عن العوامل المسببة للأحقاد والضغائن والكراهية.

أما من لا يعفو عن الآخرين، ويعيش حالة اللاتسامح؛ فهو من أشر الناس بنظر الإمام علي (عليه السلام) حيث يقول: «**شَرُّ النّاسِ مَن لا يَعفو عَنِ الزَّلَّةِ، ولا يَستُرُ العَورَةَ!**»[٣٨].

وفي نص آخر يدعو الإمام علي (عليه السلام) إلى العفو عند المقدرة بقوله: «**إذا قَدَرتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجعَلِ العَفوَ عَنهُ شُكرًا لِلقُدرَةِ عَلَيهِ**»[٣٩].

وما أحوج المجتمع اليوم- كما في كل عصر- إلى العفو والصفح عن المعارضين والمخالفين والمخطئين؛ لأن ذلك يُسهم في بناء الدولة، وتثبيت استقرارها واستمرارها.

ولم يكتفِ الإمام علي (عليه السلام) بالدعوة إلى العفو والصفح؛ بل كان يعمل بذلك، ومن شواهد تسامحه وعفوه أنه لم يكن يعاقب أحدًا على سبه أو الإساءة إليه؛ بل كان يعفو عنهم ويصفح، فقد: جاء رَجُلٌ بِرِجالٍ إلى عَلِيٍّ (عليه السلام) فقالَ: إنّي رَأيتُ هؤلاءِ يَتَوَعَّدُونَكَ فَفَرُّوا وأخَذتُ هذا، قالَ: «أفَأقتُلُ مَن لم يَقتُلْني؟!»، قالَ: إنَّهُ سَبَّكَ، قالَ: «سُبَّهُ أو دَعْ»[٤٠].

وروي في نهج البلاغة: أنّ عليًّا (عليه السلام) كانَ جالِسًا في أصحابِهِ فمَرَّت بِهِمُ امرأةٌ جَميلَةٌ، فرَمَقَها القَومُ بأبصارِهِم، فقال: «**إنَّ أبصارَ هذهِ الفُحولِ طَوامِحُ**[٤١]، **وإنّ ذلكَ سَببُ هَبابِها**[٤٢]، **فإذا نَظَرَ أحَدُكُم إلَى امرأةٍ تُعجِبُهُ فلْيُلامِسْ (فلْيَلمِسْ) أهلَهُ، فإنّما هِيَ امرأةٌ كامرأتِهِ**».

فقالَ رجُلٌ مِن الخَوارِجِ: «قاتَلَهُ اللهُ كافِرًا ما أفقَهَهُ!» فوَثَبَ القَومُ لِيَقتُلوهُ، فقالَ (عليه السلام): «**رُوَيدًا إنّما هُو سَبٌّ بسَبٍّ أو عَفوٌ عن ذَنبٍ**»[٤٣].

ومثل هذه القيم والأخلاقيات النبيلة كالتحلي بفضيلة العفو

والصفح والرحمة تعزز روح التسامح الاجتماعي، وتعطي كل فرد من أفراد المجتمع حقوقه كاملة، وتحرم أي شكل من أشكال انتقاص تلك الحقوق أو سلبها أو التعدي عليها.

وإذا ما نظرنا إلى المجتمعات الإنسانية اليوم وجدنا أن المجتمع الذي يعرف كيف يدير خلافاته بحكمة وحنكة، ويسمح للجميع بالتعبير عن نفسه ووجوده تتعزز فيه قيم التسامح الاجتماعي، وتتقلص فيه أمراض التعصب والتطرف والتشدد.

أما المجتمعات التي تتعامل مع مكوناتها المختلفة بالإقصاء والإلغاء والتهميش، وتشعر بالغُبن والظلم فإنها تعاني من حالات التعصب والتطرف والانغلاق.

إن أولى خطوات تعزيز التسامح الاجتماعي يتطلب قبول الآراء المتعددة، والاستفادة من مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية، وتنظيم الاختلافات الطبيعية بما يثري ويعزز روح التسامح الاجتماعي.

المطلب الثالث: التسامح الفكري

خلق الله تعالى البشر مختلفين ومتفاوتين في عقولهم وإدراكهم للأشياء، فلكل إنسان شخصيته المستقلة، وتفكيره الخاص به، ونظرته للأمور، فكما ينفرد كل واحد منا ببصمة بنانه، وصورة وجهه، ونبرة صوته؛ كذلك ينفرد بلون تفكيره وتفكّره وميوله وذوقه ومزاجه، ونظرته الخاصة إلى الأشخاص والأشياء والقضايا المختلفة.

وانطلاقًا من هذا الأمر، فإن الاختلاف في القضايا الفكرية والعلمية أمر طبيعي، وذلك لما فطر عليه الناس من تباين في عقولهم وأفهامهم ومداركهم، يقول الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤٤]، ويقول الإمام علي (عليه السلام): «إنَّ هذهِ القُلوبَ أوعِيَةٌ، فخَيرُها أوعاها»[٤٥]؛ مما يعني أن العقول ليست بدرجة واحدة، ومن ثم يتباين مستوى الإدراك والفهم والوعي عند الناس، مما يسبب اختلافهم في المواقع والآراء والاجتهادات.

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تتباين الآراء الفكرية والثقافية المطروحة في المجتمع، وتتعدد النظريات الفكرية، وتختلف الاجتهادات حول مختلف المسائل والقضايا، لكن المهم أن يكون ذلك بصورة علمية، وأن يطعم الاختلاف بتسامح فكري بعيدًا عن لغة الإقصاء أو الإلغاء أو التهميش، مما يساهم في تطوير أفكارنا ومراجعتها وفحصها والتأكد من صوابيتها.

أما إذا ساد المجتمع تعصب فكري لرأي واحد، أو وجهة نظر واحدة، أو نظرية واحدة فهذا يؤدي إلى شيوع التعصب الفكري، وتوليد التشدد والتطرف، وهو ما يوصل في نهاية الأمر إلى الغلو الفكري، فلا يرى رأيًا إلا رأيه، ولا فكرة إلا فكرته، ولا اجتهادًا إلا اجتهاده!.

وحرية الرأي والتعبير عنه هو حق طبيعي لكل إنسان، فله حق التكلم بما يشاء، وحق المحاججة بالحق، وحق النقد لكل ما هو غير صحيح عقلًا وشرعًا.

وقد مارس المسلمون الأولون حقهم في التعبير عن آرائهم وأفكارهم وتصوراتهم تجاه مختلف القضايا المهمة، وذلك بإيعاز من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه كي يتمتعوا بحقهم في إبداء الرأي.

وقد عوّد الإمام علي (عليه السلام)

أصحابه كذلك على (إبداء الرأي)، ولم يكتفِ بالتسامح تجاه الآراء المخالفة له، بل كان يشجع أصحابه على إبداء آرائهم، معتبرًا إياها جزءًا من العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وواجبًا من واجبات الرعية تجاه الراعي.

فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**لا تَكُفُّوا عَن مَقالَةٍ بِحَقٍّ، أو مَشورَةٍ بِعَدلٍ؛ فإنّي لَستُ في نَفسِي بِفَوقِ أن اخطِئَ، ولا آمَنُ ذلكَ مِن فِعلي، إلّا أن يَكفِيَ اللهُ مِن نَفسِي ما هُو أملَكُ بِهِ مِنّي**»(٤٦).

ويقول (عليه السلام): «**وَلاَ تَظُنّوا بِيَ اسْتِثْقَالًا فِي حَقّ قِيلَ لِي، وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَام لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ**»(٤٧).

ولأن الإمام عليًّا (عليه السلام) إمام معصوم يجب على الناس طاعته، ولكن هذا لا يمنع من إبداء رأيهم له، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال: لِعبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ وقد أشارَ علَيهِ في شَيءٍ لم يُوافِقْ رَأيَهُ: «**لكَ أن تُشِيرَ عَلَيَّ، وأرى، فإن عَصَيتُكَ فَأَطِعني**»(٤٨).

وهكذا فإن (التعبير عن الرأي) حق أساسي للرعية في أمورهم، وربما يكون واجبًا عليهم تجاه الحاكم، يقول الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): «**وأعظَمُ ما افْتَرَضَ [اللهُ] سبحانَهُ مِن تلكَ الحُقوقِ: حقُّ الوالي على الرَّعِيَّةِ، وحقُّ الرَّعِيَّةِ على الوالي**»(٤٩).

وهذا يشير إلى أنه في عهد الإمام علي (عليه السلام) كان هناك إصرار شديد منه من أجل ممارسة (حق الرأي) عمليًا؛ لأن تقدم أي مجتمع لا يمكن أن يتم إلا في مناخ حر، بحيث تنمو فيه الأفكار الصالحة، والرؤى المنتجة، والأعمال الحضارية.

ومن دون ممارسة إبداء الرأي، تنعدم في المجتمع كل مقومات التقدم والحضارة، ولذا فإن من أبرز

أسباب تخلف المسلمين اليوم هو انعدام الحرية ومحاربة الرأي الآخر، في حين أننا نجد المجتمع الإسلامي الأول تقدم بسرعة مذهلة، وذلك نتيجة لممارسة المسلمين لحق الرأي والتعبير عنه بحرية تامة.

وقد كفل الإسلام حق الرأي لكل إنسان بوصفه حقًا من حقوقه الأساسية، وعلى هذا الأساس، فإن الرأي الآخر يستمد شرعيته من حقه في التعبير عن رأيه وفكره وفلسفته في الحياة.

وفي نصوص عديدة عن الإمام علي (عليه السلام) يؤكد فيها على أصالة الحرية، وأن الإنسان يولد حرًّا، فقد جاء عن محمّد بن جعفرٍ العقبي قال:

«خَطَبَ أميرُ المؤمنينَ (عليه السلام) ... ثمّ قالَ: أيُّها النّاسُ، إنّ آدَمَ (عليه السلام) لَمْ يَلِدْ عَبدًا ولا أمَةً وإنّ النّاسَ كُلَّهُم أحرارٌ»[٥٠]. وعنه (عليه السلام) قال: «لا تَكُنْ عَبدَ غَيرِكَ وقَد جَعلَكَ اللهُ حُرًّا»[٥١].

وعنه (عليه السلام) قال: «لا يَسْتَرِقَّنَّكَ الطَّمَعُ وقَد جَعلَكَ اللهُ حُرًّا»[٥٢].

هذه النصوص وغيرها تؤكد على حقيقة أن الأصل في الإنسان الحرية، فكل إنسان حر في عقيدته وفي فكره وفي عمله وفي قناعاته بشرط واحد فقط هو عدم تجاوز حقوق الآخرين، لأن هذا أمر مناف للحرية نفسها.

وقد سبق الإمام علي (عليه السلام) بمئات السنين ما نصّت عليه المواثيق والاتفاقات الدولية والإقليمية الخاصة بحقوق الإنسان وحقه في حرية الرأي والتعبير؛ حيث أن أقدم إعلان دولي تضمن حق الإنسان في التعبير عن آرائه وفكره هو إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي الذي صدر في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م في الجمعية التأسيسية، الذي يتكون من ١٧ مادة: أن حرية التعبير «تقوم

على حق ممارسة كل عمل لا يضر بالآخرين» و«لا يجوز إزعاج أحد بسبب آرائه حتى الدينية منها» معتبرًا حرية الفكر والرأي من أثمن الحقوق للإنسان، وذلك بالتأكيد على أن لكل مواطن الحق في أن يكتب ويتكلم ويطبع بحرية، على أن يكون مسؤولًا عن إساءة استعمال هذا الحق في الأحوال المحددة في القانون(٥٣).

من كل ما سبق، نستطيع الاستنتاج بأن حق الرأي والتعبير عنه هو حق مكفول للإنسان- أي إنسان- في الإسلام، وكذلك في القانون الدولي، باعتباره حقًّا أساسيًّا من حقوق الإنسان.

وعندما يتاح للجميع الحرية في إبداء آرائهم الفكرية والثقافية فإن ذلك يعزز من روح التسامح الفكري في المجتمع، ويقلص من مساحة اللاتسامح والتعصب الفكري المقيت.

إن شيوع التسامح الفكري في المجتمعات المسلمة وغيرها بحاجة إلى السماح بحرية التعبير عن الآراء المختلفة، والنظريات المتضاربة، والاجتهادات المختلفة، ثم نبحث عن الآراء الصحيحة، وبهذا نشجع على تنمية روح التسامح الفكري.

أما إذا تعاملنا مع الأفكار إما أسود أو أبيض، سالب أو موجب، معنا أو ضدنا ولا مكان للوسط؛ فهذا يؤدي إلى شيوع التشدد الفكري، والتطرف الديني.

إن انتفاخ الذات، ورفض الرأي الآخر، وعدم السماع للنصيحة، واحترام الآراء المخالفة كلها دلائل على رفض التسامح الفكري.

إن علينا كمجتمعات إسلامية تتنوع فيها الأديان والمذاهب والتيارات والتوجهات والمرجعيات والمدارس الفكرية أن نتعلم من

أمير المؤمنين (عليه السلام) أهمية السماح للآراء المختلفة بالتعبير عن نفسها ووجودها، والابتعاد عن الرأي الواحد، وإقصاء الآخرين حتى نُشيع في مجتمعنا روح التسامح الفكري المنشود.

المطلب الرابع: التسامح السياسي

المقصود بالتسامح السياسي هو الاستعداد النفسي والعملي لتقبل جماعات وتيارات أو أفكار يعارضها المرء، والإقرار لهم بحقهم في ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية كافة التي كفلها لهم القانون[٥٤].

وعرَّفه آخرون: بأن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج، وفي إدارتها ومراقبة السلطة التنفيذية، وقد حرص القرآن الكريم على منح الناس هذا المقدار الواسع من هذه الحرية حيث يرسم دعائم الحكم على أساس الشورى والحرية السياسية واشتراك العقلاء وأصحاب الرأي والخبرة والاختصاص، كل في مجال تخصصه.

والتسامح السياسي هنا أن تكون الأمة نفسها مصدر السلطات، وأن يكون للأفراد الحق في اختيار الحاكم، والحق في مراقبته، ومحاسبته على أعماله[٥٥].

وحتى يتحقق التسامح السياسي يجب أن يقوم على العدل، والحرية، والشورى، والانفتاح، والحوار، وتقبل الآخر السياسي، وحق المعارضة، وحق النقد، وحق الجهر بالرأي السياسي.

والتسامح السياسي سواء بين الحاكم والمحكومين، أو بين الجماعات السياسية المختلفة، أو بين الدول المختلفة يساعد على إزالة التوترات وحالة النزاعات السياسية، ويضمن الأمن والسلام والاستقرار الاجتماعي والسياسي.

وقد ضرب الإمام علي (عليه السلام) في عهده المبارك أروع صور التسامح السياسي، وتعامل مع معارضيه ومخالفيه تعاملًا إنسانيًا رفيع المستوى، وأعطاهم حقوقهم السياسية والمدنية كاملة، بالرغم من أن مناوئيه كفّروه وحرضوا الناس على حكمه، ومع ذلك لم يسجنهم، ولم يمنع حقوقهم، ولم يقاتلهم إلا عندما بدأوا القتال، وعفى عنهم بعدما انتهت المعارك، بل وضمن لهم حرية الرأي والفكر والتعبير عن ذلك.

لقد حدد الإمام علي (عليه السلام) حقوق المعارضة بصورة واضحة وجلية للناس، فقد روي: أَنَّهُ [أميرَ المؤمنينَ عليه السلام] خَطَبَ بالكوفةِ، فقامَ رجُلٌ مِن الخوارجِ فقالَ: لا حُكْمَ إلّا لله! فَسَكتَ عليٌّ عليه السلام، ثُمّ قامَ آخرُ وآخرُ، فلمّا أكْثَروا عليه قالَ:

«كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطلٌ، لَكُم عندَنا ثلاثُ خِصالٍ: لا نَمْنَعُكُم مساجِدَ الله أنْ تُصَلُّوا فيها، ولا نَمْنَعُكُم الفَيْءَ ما كانتْ أيديكُم مَع أيْدينا، ولا نَبْدَأكُم بحربٍ حتّى تَبْدَأونا به»[٥٦].

وفي رواية أخرى عن كثير بن نمر قال: بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنبر، إذ قام رجل وقال: لا حكم إلا لله ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله. فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يُبتغى بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، ألا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئًا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا. ثم أخذ في خطبته[٥٧].

وبهذا فقد أوضح الإمام علي (عليه السلام) حقوق المعارضة في الأمور التالية:

١. حق العبادة والتردد إلى المساجد.

٢. حق الفيء (التأمين ضد الجوع).

٣. حق النقد (التأمين من الخوف).

إن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) عندما ابتلي بمن عارضه سواء كانوا أفرادًا، أم كانوا جماعات وفرقًا، لم يقم بكمّ الأفواه، ولم يمنع المعارضين من التجمع، وعقد الاجتماعات، ولم يضيّق الخناق على المعارضة بأي شكل من الأشكال، بل أعطاهم حقوقهم المشروعة كافة.

لقد بنى الإمام علي (عليه السلام) حكمه على أساس الشورى والحوار، ولم يتراجع عن هذين الأمرين حتى في أحلك الظروف وأصعب الأوقات، بالرغم من أن كثيرًا من الذين عارضوه كانوا ينطلقون من طمع في الحكم، أو حقد في النفس، أو حب في الإثرة، أو فرار من عدل، أو رغبة في الدنيا، وليس من خلاف في الرأي، أو اختلاف في الفكر؛ ولكن للمعارضة حقوقًا يجب صيانتها، بغض النظر عمّن يكونوا، وعما يريدون، وماذا تكون منطلقاتهم وأهدافهم الحقيقية.

وبذلك أرسى الإمام علي (عليه السلام) حق المعارضة وإبداء (الرأي الآخر)، والتعبير عن ذلك الرأي بأي وسيلة مشروعة، فلم يسجن أحدًا لمخالفته له في الرأي، ولم يمنع أحدًا من العطاء لأنه لا يتفق معه في موقف أو في رؤية، ولم يبطش بأحد خالفه في الفكر أو المعتقد؛ بل سمح لكل الآراء أن تعبر عن ذاتها وفكرها.

وروى المؤرخون: أن (الحريث بن راشد الشامي) كان عدوًا للإمام (عليه السلام)، فجاءه قائلًا له: والله لا أطعت أمرك، ولا صليت خلفك!، فلم يغضب لذلك، ولم يبطش به، ولم يأمر به بالسجن أو العقوبة، وإنما دعاه إلى

أن يناظره حتى يظهر أيهما على الحق، ويبين له وجه الحق لعله يتوب، فقال له الحريث: أعود إليك غدًا، فقبل منه الإمام، فانصرف الرجل إلى قومه ولم يعد![٥٨].

ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بالعدل مع الخوارج، ومنحهم حقوقهم كاملة إبان المعارضة، بل أوصى بهم خيرًا بعد وفاته، فقال قولته الشهيرة: **«لا تُقاتِلوا (تَقْتُلوا) الخَوارِجَ بَعدي؛ فلَيس مَن طَلَبَ الحقَّ فأخْطَأهُ، كَمَن طَلَبَ الباطِلَ فأدْرَكَهُ»**[٥٩].

قال ابنُ أبي الحديد: «مُراده أنّ الخوارج ضَلّوا بشُبهةٍ دخَلت عليهم، كانوا يَطلُبون الحقّ، ولهم في الجملة تَمسّكٌ بالدِّين، ومُحاماةٌ عن عقيدةٍ اعتقدوها، وإنْ أخطَأوا فيها. وأمّا معاوية فلم يكن يطلب الحقّ، وإنّما كان ذا باطل، لا يُحامي عن اعتقادٍ قد بناه على شبهة، وأحوالُه كانت تدلّ على ذلك، فإنّه لم يكن من أرباب الدِّين، وإذا كان كذلك لم يَجُزْ أن يَنصُر المسلمون سلطانه، وتحارَبُ الخوارج عليه و إن كانوا أهل ضلال، لأنّهم أحسن حالًا منه، فإنّهم كانوا يَنهون عن المنكر، ويَرَون الخروج على أئمّة الجور واجبًا»[٦٠].

وأدى هذا التعامل الإنساني والأخلاقي الرصين مع المعارضة إلى أن يأتي المعارضون لأخذ حقوقهم وأعطياتهم من الإمام (عليه السلام) مباشرة من دون خوف أو وجل، ولا يرون في معارضتهم ما يتناقض مع ذلك. فقد روي أن عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة، جاءوا إلى الإمام (عليه السلام) يطلبون عطاءهم، وكانوا جميعًا قد اعتزلوا، فلم يشهدوا الجمل ولا صفين، وكان الإمام (عليه السلام) قد تركهم وشأنهم منذ اعتزلوا ولم يبايعوه، ولكن عطاءهم كان يصلهم في منازلهم[٦١].

ولم يُخرج الإمام علي (عليه السلام) أحدًا

ممن كان يخالفه في الرأي أو الفكر أو الموقف أو المذهب من دائرة الإسلام، بل كان يتعامل مع معارضيه على أنهم مسلمون.

فقد روي أن عليًّا (عليه السلام) لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكن كان يقول: «هُمْ إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا»[٦٢]، وسئل علي (عليه السلام) عن أهل الجمل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا. قيل: فما هم؟ قال: «إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا فَنُصِرْنَا عَلَيْهِمْ»[٦٣].

وروى الإمام الحسين عن الإمام عليّ (عليهما السلام): أَنَّهُ سُئِلَ عَن أهلِ النَّهرَوانِ أمُشرِكينَ كانوا؟ قالَ: مِنَ الشِّركِ فَرّوا، فَقيلَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، مُنافِقينَ كانوا؟ قالَ: المُنافِقونَ لا يَذكُرونَ الله إلّا قَليلًا، فَقيلَ لَهُ: فَما هُم؟ قالَ: «قَومٌ بَغَوا عَلَينا، فَنَصَرَنَا الله عَلَيهِم»[٦٤].

وكان من صور التسامح السياسي عند الإمام علي (عليه السلام) أنه كان ينصح معارضيه تارة، ويدعوهم للحوار والمناظرة تارة أخرى، وكان يفتح قلبه لسماع آراء مخالفيه، ويصبر على أذى معارضيه، ولم يستعمل القوة إلا ضد من استعملها، أما من كان له رأي مخالف، أو موقف مغاير، فلم يستعمل الإمام (عليه السلام) ضد هؤلاء أي إجراء عقابي؛ بل كان يصرّ على ضمان حقوق معارضيه، وينهى أصحابه عن سب مخالفيه.

وقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) الحوار مع الخوارج كوسيلة مهمة للتعامل معهم، وتغيير قناعاتهم، فقد قال (عليه السلام) مشيرًا إليهم: «إن سكتوا تركناهم، وإن تكلموا حاججناهم، وإن أفسدوا في الأرض قاتلناهم»[٦٥]، فإذا عارضوا بالسلم فلا ضير في ذلك، وإذا تكلموا

حاججناهم بالكلام وحده، أما إذا بدأوا الإفساد والقتال، فشأنهم شأن غيرهم من الناس لابد من ردعهم ومواجهتهم، لأنه لا يمكن مواجهة من يشن الحرب إلا بقتالهم.

وكم جرى بين الإمام (عليه السلام) وبين الخوارج من نقاش حاد، لكن الإمام (عليه السلام) لم يكن يتخذ ضدهم موقفًا غير موقف المحاور معهم؛ رغم أنهم كفروه، واستباحوا دمه، وأعلنوا معارضتهم له؛ إلا أنه ضمن لهم حقوقهم كافة، وأنصفهم من نفسه، وتعامل معهم بإنسانية وتسامح عزّ نظيرها.

يقول أبو الأعلى المودودي: «لقد قابل علي بذاءات الخوارج في عهده بصدر رحب، وحدث أن قبض على خمسة منهم وأُحضروا إليه وكانوا يكيلون له السباب علنًا حتى أنه أقسم أحدهم أمام الناس لأقتلن عليًّا، ومع ذلك أطلق سراحهم، وقال لرجاله بأن يردوا عليهم بما شاءوا من القول، لكنه لم يتخذ ضدهم إجراء عمليًّا»[٦٦].

ويقول الدكتور عبد الكريم عثمان: «وفيما يتعلق بالصبغة السياسية فقد كانت حرية الرأي والتفكير مكفولة إلى حد بعيد. ونشير إلى مثال عام نقتبسه من خلافة علي (عليه السلام)، ذلك أنه عندما انشق عليه الخوارج وكانوا حوالي ثمانية آلاف، أرسل إليهم ابن عباس ليناظرهم، فاستطاع أن يقنع الكثيرين منهم بالحجة حتى عاد أربعة آلاف، أما مَن تبقى فقد أرسل إليهم علي (عليه السلام) كتابًا يقول فيه: «**كونوا حيث شئتم، بيننا وبينكم ألا تسفكوا دمًا حرامًا، ولا تقطعوا سبيلًا، ولا تظلموا أحدًا، فإن فعلتم نذر الحرب معكم، لا نبدأ بقتال ما لم تُحدثوا فسادًا**»[٦٧].

أما الكاتب المصري الأستاذ فهمي هويدي: فيرى في تجربة الإمام علي

(عليه السلام) مع الخوارج أنها: تجربة مليئة بالدروس التي يتعين علينا أن ندقق في ملابساتها، لنستوعب الحدود التي يحتملها الواقع الإسلامي لمباشرة ما نسميه في زماننا المعارضة السياسية أو المسلحة.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الفكر السياسي الإسلامي يبين كثيرًا من الاجتهادات على دروس تلك التجربة، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحاول استرجاع تلك الدروس وما استخلصه فقهاء المسلمين منها.

فهنا تيار بارز بين فقهاء المسلمين يضم عددًا من أهل السلف والخلف استقر رأيه على أن الواقع الإسلامي يحتمل المعارضة السياسية التي يمكن أن تذهب بعيدًا في النيل من القيادات الحاكمة، سواء في سياساتها أو مدى إيمانها- الخوارج كفّروا الإمام علي (عليه السلام) فوق المنابر وتركهم وشأنهم- لكن الذي ليس مقيدًا عند هؤلاء المعارضة المسلحة التي تهدد كيان الدولة الإسلامية وتروّع سكانها وتجرح وحدتها[٦٨].

ولعل أهم ما نستطيع استنتاجه من تجربة الإمام علي (عليه السلام) مع معارضيه أن للرأي الآخر مكانًا في الدولة الإسلامية، وأن الإسلام يكفل الحقوق المشروعة كافة للمعارضة السياسية السلمية، أما المعارضة المسلحة ضد الدولة الإسلامية فلا شرعية لها؛ إذ لا شرعية في محاربة الشرعية.

إن لدينا- نحن المسلمين- رصيدًا فكريًّا مدعمًا بأرشيف تاريخي كبير جدًّا يدل بوضوح على التسامح مع الآخر، وحقه في البقاء والحياة، والأمن من الأذى بمختلف أشكاله.

ومن المؤسف حقًّا أن تجد بعضًا لا يرى الحق إلا في ذاته، ويعمل بكل إصرار على إلغاء الآخر، ونشر التعصب والتطرف والغلو، كما أن

كثيرًا من الغربيين- والذين يقرأون الإسلام قراءة سطحية- ينظرون إلى الإسلام بوصفه لا يُقر التعددية، ولا يعترف بالرأي الآخر!.

إن كل تعاليم الإسلام وقيمه تحث على التسامح، واحترام الآخر، وإعطاء كل ذي حق حقه، انطلاقًا من أصالة الحرية، وحق الإنسان في الاختلاف. ومن أكبر الأدلة على ذلك التجربة الإسلامية الأولى التي قادها الإمام علي (عليه السلام) إبَّان حكمه، التي تؤكد وقائعها وشواهدها التاريخية، على سعة التسامح في الإسلام، والقبول بوجود الآخر، وضمان حقوق المعارضة كاملة.

المبحث الثالث: الحاجة إلى التسامح

إن حقائق التنوع والتعدد الديني والمذهبي والثقافي والفكري والحضاري موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، بما فيها المجتمعات المسلمة، وهذا يفرض من الناحية النظرية والواقعية ترسيخ ثقافة التسامح والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الاجتماعية.

والحاجة إلى التسامح الإيجابي ضرورة دينية قبل أن تكون حاجة واقعية، فالإسلام يربي أتباعه على التسامح كمبدأ أخلاقي وواجب ديني تجاه الآخر فضلًا عن الذات.

والإسلام الذي يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويدعو إلى عمارة الأرض وتدعيم أسس السلام والتعايش الإيجابي انطلاقًا من مبدأ أن كل البشر ينحدرون من نفس واحدة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٦٩).

ويريد الإسلام أن يربي أتباعه على تقبل التواصل مع الأمم والشعوب

والثقافات الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(٧٠) فالتعارف الإنساني هو السبيل نحو التآلف والتراحم والتعاون والتعايش والتسامح.

ولا يكتفي الإسلام بالدعوة إلى التعارف الإنساني والتعايش الإيجابي، والتسامح الفعال، بل يدعو إلى البر والقسط حتى مع الكفار غير الحربيين كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٧١).

وهذا يؤكد على أن الاختلاف لا يجب أن يكون عائقًا أو حاجبًا عن التواصل مع الآخر، أو التعاون مع المكونات المتنوعة، فكل مجتمع إنساني تتعدد فيه الأعراف والأديان والمذاهب والأجناس يجب أن يكون مصدر إثراء للمجتمع، وليس مصدرًا للتقاطع والتصادم والتحارب.

وأي مجتمع متقدم ومتطور حضاريًّا لابد وأنه قد سلك مسلك الاستفادة الإيجابية من التنوع والتعدد والاختلاف، وهذا عين العقل والحكمة، بينما المجتمعات المتخلفة علميًّا وحضاريًّا تعاني من غلبة عقلية اللاتسامح والتعصب والتشنج بين مكوناتها الاجتماعية المختلفة.

وللأسف الشديد فإن كثيرًا من المجتمعات المسلمة تعاني اليوم من حالة اللاتسامح والاحتقان الديني والمذهبي، وتقلص مساحات التسامح ومجالات التعاون بسبب غلبة التعصب والتشدد والتطرف الديني والفكري والثقافي والسياسي عند مختلف الأطراف والمكونات الاجتماعية.

وهذا ما يفرض علينا جميعًا العودة إلى تعاليم الإسلام ووصاياه في الأخلاق والآداب الحاثة على التسامح والتعايش الإيجابي، والأخذ بها، والعمل بما جاء فيها، والتجمل بقيم التسامح والتآلف والانسجام والتواصل والتلاقي والتعاون.

كما أن في سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرًا من القصص والأمثلة والشواهد الدالة على التسامح والتعايش، كما أن في أقوالهم وكلماتهم وحكمهم (عليهم السلام) ما يغني ثقافة التسامح، ولكن نحتاج إلى تطبيقها عمليًّا في واقعنا الاجتماعي العام.

ولا يمكن أن يتحقق التعايش من دون تسامح، ولا يمكن أن يتحقق التسامح من دون الالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية، التي أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) حياتهما من أجل ترسيخها في المجتمع، وإحياء قيم الدين والأخلاق الفاضلة.

واليوم فإن المجتمع المسلم أحوج ما يكون إلى التحلي بالقيم الأخلاقية الرفيعة، والتعامل مع مختلف الآراء والتوجهات والتيارات والمكونات الاجتماعية بأخلاقيات التسامح والتعايش، ومراعاة آداب الاختلاف.

وإذا ما وضعنا نصب أعيننا أخلاقيات الإسلام وآدابه فإن هذا يساهم كثيرًا في تجسير الفجوة بين المختلفين، وتثبيت دعائم التسامح والانفتاح بين أصحاب المذاهب والأديان والطوائف والجماعات والتيارات المختلفة مما ينعكس إيجابًا في بناء مسيرة المجتمع، والارتقاء به نحو سلالم المجد والتقدم والتطور الحضاري المنشود.

إن علينا أن نعكس ثقافة التسامح في مسيرتنا وسيرتنا وتعاملنا وأخلاقنا وثقافتنا حتى نصل لمرحلة

التسامح الإيجابي الفعال، ونبتعد عن لغة اللاتسامح والإقصاء والإلغاء، فإن هذا يؤثر سلبًا على بناء المجتمع وتقدمه وتطوره، فلا يمكن أن يتطور أي مجتمع إلا عندما تسود فيه أخلاقيات التسامح، وتتجذر ثقافة تقبل الآخر، والالتزام بآداب الاختلاف.

ومن العقل والحكمة أن ننظر إلى تعددية الآراء والأفكار والاجتهادات في أي حقل من حقول المعرفة والعلم على أنه ثروة علمية وحضارية لا تقدر بثمن، فالتعددية دليل على وجود عقول كبيرة ومتنوعة في التفكير والمنهج العلمي، وقادرة على العطاء والإنتاج العلمي والمعرفي.

وتنمو ثقافة التسامح والتعايش في ظل التعددية الفكرية والعلمية عندما يسود المجتمع أجواء الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام، أما عندما تسود أجواء الكبت الفكري والقمع تجاه أي رأي مخالف فإن ثقافة اللاتسامح والإقصاء تكون هي السائدة.

ولا يصح بأي حال من الأحوال مصادرة الآراء والأفكار المغايرة، والحجر على أي رأي مخالف، بل يجب تشجيع الإنتاج الفكري، والإبداع العلمي حتى يتطور المجتمع ويتقدم حضاريًّا.

ثم إنه لا يجوز أن يؤدي التعدد في الرأي أو الفكر أو الاعتقاد أو المنهج إلى إفساد ما بين الناس من التآلف والتعاون والاحترام والانسجام، وهذا ما يشير إليه القول المشهور: «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية»[٧٢].

ولكن للأسف فإن واقعنا الاجتماعي المعاصر في أكثر البلدان الإسلامية وغيرها أصبح مساحة القبول بالرأي والرأي الآخر، والتسامح تجاه المخالف الآخر،

والتعايش مع المختلف تتقلص مساحتها بفعل عوامل اجتماعية وفكرية وسياسية سائدة.

ولأجل مصلحة المجتمع وتقدم الأوطان يجب إشاعة روح التسامح تجاه الآراء والاجتهادات والنظريات الفكرية المختلفة؛ فهذا هو سبيل التقدم والتطور والازدهار.

ويجب على الأمة الاقتداء والتأسي بأمير المؤمنين (عليه السلام) في التحلي بأخلاقيات التسامح، وإعطاء الناس حقوقهم كافة، والسماح لكل الآراء بالتعبير عن نفسها؛ فقد أدى وجود الحرية والتسامح في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى ازدهار العلوم والثقافة، وامتلاء المكتبات الإسلامية بالذخائر المعرفية المختلفة من شتى العلوم والفنون في الفلسفة والمنطق، والتوحيد والأصول والفقه والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك والرياضيات وغير ذلك، مما ساهم في تقدم البشرية خطوات كبيرة على طريق البناء الحضاري، وقد كان ذلك التقدم العلمي أساسًا في إقامة النهضة الأوربية الحديثة.

نتائج البحث

في خاتمة هذا البحث عن التسامح عند الإمام علي (عليه السلام) نستخلص النتائج الآتية:

١. إن الإسلام يدعو إلى التحلي بفضيلة التسامح سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي أم في الحياة العامة، باعتبار أن التسامح فضيلة وقيمة من القيم والفضائل الكبرى التي يجب التخلق والتحلي والتجمل بها.

٢. ثبت عبر استعراض أقوال أهل اللغة الإيحاء الإيجابي لمفردة التسامح والتي تشير إلى اللين والتساهل في التعامل، والجود والكرم والسخاء والعطاء، وأن الباعث على ذلك هو العزة والرفعة والتسامي، ولا

يعني التسامح أي نوع من أنواع الضعف والانهزام والذلة، أو التنازل عن المعتقدات والقناعات الدينية والفكرية؛ بل أن التسامح من أعلى مراتب القوة والسمو والأخلاق.

٣. إن القاعدة الفقهية (قاعدة الإلزام) التي تقول (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) تعني إعطاء الآخر الديني الحق في الالتزام بما يعتقده ويراه صحيحًا طبقًا لمذهبه أو دينه؛ وهذه القاعدة الفقهية التي يعمل بها جُلّ الفقهاء- وهو المشهور عندهم- تدل على إنسانية الإسلام، وتأصيل روح التسامح تجاه الآخر الديني؛ وهي تؤسس للحرية الدينية لأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، وأتباع الأديان الأخرى، وتتيح لهم العمل على وفق عقائدهم وأحكامهم، وفي هذا إقرار بقبول التعايش معهم.

٤. تؤكد المنظومة الأخلاقية التي شرعها الإسلام ورغّب فيها وحَثَّ عليها على الالتزام بمنهج التسامح، والابتعاد عن التعصب والتطرف، وتجنب الإساءة أو التجريح أو التحقير أو الإيذاء للآخرين.

٥. ثبت أن سيرة الإمام علي (عليه السلام) الأخلاقية والإنسانية اتسمت بروح التسامح، وكان كثير السماحة والعفو والصفح من موقع القوة والقدرة حتى عن خصومه ومعارضيه، وهذا من أوضح تجليات التسامح.

٦. إن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد أصّل لشرعية المعارضة في الدولة الإسلامية، من خلال تعامله مع معارضيه من الخوارج وغيرهم، والتكفل بضمان حقوقهم كاملة، والسماح لهم بالتعبير عن آرائهم، وممارسة شعائرهم، ما داموا يمارسون أعمالهم بسلم وسلام.

٧. اتضح بشكل جلي الدور المهم للإمام علي (عليه السلام) في ترسيخ مختلف أنواع التسامح وأقسامه سواء عبر

كلماته وأقواله وحكمه البليغة، أم عبر سيرته العملية الأخلاقية والمعنوية والإنسانية والفكرية والاجتماعية والسياسية.

٨. الكشف عن حاجة المجتمعات المسلمة إلى تعزيز روح التسامح في مختلف أقسامه وأنواعه كالتسامح الديني، والتسامح الأخلاقي، والتسامح الاجتماعي، والتسامح الفكري، والتسامح السياسي.

٩. إنه لا يمكن أن يتحقق التعايش من دون تسامح، ولا يمكن أن يتحقق التسامح من دون الالتزام بالأخلاق والآداب والقيم الإسلامية، التي أعطى الإمام علي (عليه السلام) حياته من أجل ترسيخ مبادئها في المجتمع، وإحياء قيم الدين الحنيف ومبادئه.

١٠. التأكيد على ضرورة أن يكون الاقتداء والتأسي بسيرة الإمام علي (عليه السلام) منطلقًا لانعكاس ذلك في المجتمع، وتحويله إلى منهج عملي في التسامح، فالمجتمعات المسلمة أحوج ما تكون اليوم إلى التحلي بالقيم الأخلاقية، والتعامل بتسامح عظيم مع مختلف الآراء والتوجيهات والتيارات والمكونات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية، بعيدًا عن خطاب الكراهية والعنف والتعصب المذموم.

الهوامش

١. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة- مصر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص ٥٥٧- ٥٥٨، حرف السين «سمح».

٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط٣ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص ١٥٣.

٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٠، ص ٣٠٧، ح ٣٤.

٤. المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ١١٤، ح ١٠.

٥. المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ١٠١، ح ١.

٦. معجم مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص ٦٤٣- ٦٤٤، فصل السين: «سمح».

٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، (د. ت)، ص ٤٤٧.

٨. التسامح في الإسلام، أحمد حميد عبود العلواني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ٤٣.

٩. قضايا في الفكر المعاصر: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٣١.

١٠. التسامح في الإسلام، ص ٤٣- ٤٤.

١١. التسامح ليس منة أو هبة، مجموعة من الباحثين، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص ١٥٥.

١٢. سورة الإسراء، الآية: ٢٨.

١٣. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

١٤. سورة فصلت، الآية: ٣٤.

١٥. عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن جمهور الأحسائي، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٨١، الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٨٦، كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٧٨..

١٦. الإسلام والإصلاح الثقافي، زكي الميلاد، دار أطياف، القطيف- السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص١٤٣- ١٤٤.

١٧. كتاب الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبد المحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ج ٧، ص ٣٩.

١٨. سورة الحج، الآية: ٧٨.

١٩. سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

٢٠. كتاب الوافي، الفيض الكاشاني: ج ٧، ص ٣٩.

٢١. الإسلام والإصلاح الثقافي: ص ١٤٥.

٢٢. روح التسامح، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ٥٨.

٢٣. سورة المائدة، الآية: ٨.

٢٤. سورة الممتحنة، الآية: ٨.

٢٥. وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، د. أحمد صدقي الدجاني، دار المستقبل

العربي- القاهرة ط١، ١٩٩٠م، ص ١١٧.
٢٦. سورة الكافرون، الآية: ٦.
٢٧. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٢٦، ص ١٤٨، رقم ٢٤٨٨٩.
٢٨. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٦٧. مكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٩هـ، ج ٣، ص ١٤٨.
٢٩. تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٨٢.
٣٠. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط٤، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م،- ج٤، ٥٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٣، ص ٦٠٠.
٣١. سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
٣٢. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية، ج ٤، ص ٥٠.
٣٣. راجع: بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٦.
٣٤. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ٢٩٣، ح ٨١١.
٣٥. اقتصادنا: السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة الإعلام الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ، ص ٦٦٩.
٣٦. التسامح ليس منّة أو هبة: ص ٢٠٦-٢٠٧.
٣٧. غرر الحكم: ٥٧٦٩. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٣.
٣٨. غرر الحكم: ٥٧٣٥. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٣.
٣٩. نهج البلاغة: ج ٤، الحكمة ١١. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٤، رقم ١٣٢١١.
٤٠. كنز العمّال: ٣١٦١٦.
٤١. طَمَح بصري إليه: أي امتدّ وعلا (لسان العرب: ٢/ ٥٣٤).
٤٢. الهِبَة: هياج الفحل، وهَبْهَبَيًّا: هاج ونَبّ للسفاد، وقيل: الهَبْهَة: صوته عند السفاد (لسان العرب: ١/ ٧٧٨).
٤٣. نهج البلاغة، ج٤: الحكمة ٤٢٠.
٤٤. سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
٤٥. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط٤، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م،- ج٤، ص٦٩٥، الحكمة ١٤٧.
٤٦. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.
٤٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٧، ص ٢٣٥.
٤٨. نهج البلاغة: الحكمة ٣٢١.
٤٩. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.
٥٠. الكافي: ٨/ ٦٩/ ٢٦.
٥١. نهج البلاغة: الكتاب ٣١.
٥٢. غرر الحكم: ١٠٣١٧.
٥٣. دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وموقف التشريع الإسلامي منها، د. سعيد محمد أحمد باناجة، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص١٥. ولمزيد من الإطلاع انظر نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.
٥٤. ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين، د. رشدي أحمد طعمة ود. محمد عبد الرؤوف الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص ١٨ (بتصرف).
٥٥. التسامح في الإسلام، أحمد حميد العلواني، ص ١٤٣.
٥٦. دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٩٣. مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ٦٥.
٥٧. المصنف، ابن أبي شيبه، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة- السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ج٢١، ص ٤٥٤-٤٥٥.
٥٨. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جاب البلاذري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ج ٢، ص ٤١١، (بتصرف).
٥٩. نهج البلاغة: الخطبة ٦١. مسند الإمام علي (عليه السلام): السيد حسن القبانجي، ج ٤، ص ٣٢٤، ح ٤٣٧٤/ ٢٢.
٦٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٥/ ٧٨.
٦١. علي إمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، ج ٢، ص ١٤٢.
٦٢. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٢٤، رقم ٢٩٨.
٦٣. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، ج١١، ص ٦٨، والمصنف، ابن أبي شيبه، ج٢١، ص ٣٦٨- ٣٦٩.
٦٤. الجعفريّات: ص ٢٣٤، مسند زيد: ص ٤١٠ وفيه «أهل الجمل وصفّين و أهل النهروان» بدل«أهل النهروان».
٦٥. في ظلال نهج البلاغة: الشيخ محمد جواد مغنية، ج ١، ص ٢٥٢.
٦٦. الحكومة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص ٤٠٨.
٦٧. معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ١٤، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩-ص ٦٦.
٦٨. (التعددية والمعارضة في الإسلام)، فهمي هويدي مجلة العربي، العدد ٣٥٤، السنة الحادية والثلاثون، مايو ١٩٨٨م، ص ٣٢، .
٦٩. سورة النساء، الآية: ١.
٧٠. سورة الحجرات، الآية: ١٣.
٧١. سورة الممتحنة، الآية: ٨.
٧٢. ينسب هذا القول للدكتور أحمد لطفي السيد (ت ١٩٦٣ م)، أول رئيس لجامعة القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم (ت ٩٠٩ هـ)، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢- ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، المصنف، دار قرطبة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ هـ)، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥ ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٦. باناجه، سعيد محمد أحمد، دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وموقف التشريع الإسلامي منها، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١ن ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٧- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م)، أنساب الأشراف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٨. الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٩. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة- مصر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٠. الدجاني، الدكتور أحمد صدقي، وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، دار المستقبل العربي- القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١١- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٢- الري شهري، محمد (معاصر)، ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٣- زيد الشهيد الهاشمي العلوي، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ)، مسند زيد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.

١٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي (ت ٩١١ هـ)، الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١ م.

١٥. الشرقاوي، عبد الرحمن (ت ١٩٨٧ م)، علي إمام المتقين، (د. ط)، (د. ت).
١٦. الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (ت ٤٠٦هـ)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م.
١٧- الصدر، السيد محمد باقر (ت ١٩٨٠م)، اقتصادنا: مؤسسة الإعلام الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٥ هـ.
١٨- الطبرسي، ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، دار الهداية، بيروت- لبنان، ط٥، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
١٩- الطريحي، فخر الدين بن محمّد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح (ت ١٠٨٥ هـ)، معجم مجمع البحرين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٢٠. طعمة، د. رشدي أحمد طعمة، ود. محمد عبد الرؤوف الشيخ، ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٢١- عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١٤، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٢٢- العلواني، أحمد حميد عبود، التسامح في الإسلام، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣ م.
٢٣- الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى (ت ١٠٩١ هـ)، كتاب الوافي، تحقيق: السيد علي عبد المحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٢٤- القبانجي، السيد حسن، مسند الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٢٥- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، ضبطه وصححه وعلّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٢٦- الكوفي، أبو علي محمد بن محمد بن الأشعث (المتوفى في القرن الرابع)، الجعفريات أو الأشعثيات: لإسماعيل بن موسى بن جعفر... بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: مصطفى صبحي، تصحيح: علاء الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
٢٧- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، د. ط، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٢٨- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١١١١ هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام)، ط٤، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٩- مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، (د. ط.)، (د. ت.).

٣٠- مجموعة من الباحثين، التسامح ليس منة أو هبة، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣١- مغنية، محمد جواد (ت ١٩٧٩ م)، في ظلال نهج البلاغة: محاولة لفهم جديد، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٣م.

٣٢- المؤلف مجهول، روح التسامح، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٣٣- المودودي، أبو الأعلى (ت ١٩٧٩ م)، الحكومة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣٤- الميانجي، علي الأحمدي (ت ١٤٢١ هـ)، مكاتيب الرسول، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٥- الميلاد، زكي، الإسلام والإصلاح الثقافي، دار أطياف، القطيف- السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣٦- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٣٧- هويدي، فهمي، التعددية والمعارضة في الإسلام، مجلة العربي، تصدر شهريًّا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٣٥٤، السنة الحادية والثلاثون، مايو- ١٩٨٨م.

٣٨- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، علَّق عليه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.